

السبـتـ 21-11-2009

## 813- هل أنت سـيـاسـيـ؟ يـعـنـي مـاـذـا؟

### تعـقـعـةـ الدـسـتوـر

دع جانبا الحكم الآن، كان الله في عونهم فقد أشبعناهم نقدا ومعايرة بأنهم لا يعرفون ماهية السياسة أصلا، حقيقة أن هناك مؤشرات وصحف وخطب واجتماعات، لكن يبدو أنها ليست لها علاقة بما هو سياسة.

خطر ببالك أن تقصص بعضهم، فعذرتهم، حين تصورت أن لسان حالمهم يقول: ما دام الناس تخـلوا عن السياسة، سواء باختيارهم أو بفعل فاعل، فالنتيجة أنـنا شـعـبـ لـيـسـ سـيـاسـيـاـ، وبالـتـالـ فـنـحـنـ لا نـخـتـاجـ لـسـاسـةـ يـسـيرـوـنـ أـمـورـنـاـ، وإنـماـ نـخـتـاجـ إـلـىـ مـدـرـاءـ، وـرـؤـسـاءـ مـصـالـحـ، وـخـصـصـوـنـ، وـضـبـاطـ، وـلـاـ مـائـعـ مـنـ بـعـضـ الـمـؤـثـرـاتـ وـالـخـطـبـ وـالـوـعـودـ عـلـىـ نـاحـيـةـ، وـكـثـيرـ مـنـ الصـفـحـ وـالـصـيـاحـ وـالـاحـتجـاجـاتـ الـطـيـبـةـ وـغـيرـ الطـيـبـةـ عـلـىـ النـاحـيـةـ الـأـخـرىـ.

هل الأمر كذلك فعل؟

أنت سـيـاسـيـ فـاعـلـ مـحـترـمـ، لوـ كـانـ عـنـكـ فـرـصـةـ أـنـ تـشـعـرـ وـأـنـتـ عـلـىـ وـشـكـ النـوـمـ، أـنـكـ قـادـرـ فـيـ الصـبـاحـ الـتـالـيـ، أـنـ تـشـارـكـ غـيرـكـ فـيـ تـغـيـيرـ مـاـ رـأـيـتـ أـنـهـ مـخـتـاجـ إـلـىـ تـغـيـيرـ، مـاـ يـضـرـكـ أـنـتـ وـغـيرـكـ، إـلـىـ مـاـ يـفـيدـكـ أـنـتـ وـغـيرـكـ، لـيـسـ مـعـنـيـ ذـلـكـ أـنـكـ مـصـبـبـ وـهـمـ مـخـطـنـوـنـ، مـجـرـدـ أـنـ تـشـعـرـ أـنـكـ قـادـرـ عـلـىـ ذـلـكـ، حـقـيـ لـوـ عـجـزـتـ عـنـ تـحـقـيقـهـ قـرـونـ عـدـدـاـ، حـقـيـ لـوـ كـنـتـ مـخـطـنـاـ، إـلـاـ أـنـ شـعـورـكـ بـالـمـقـدـرـةـ عـلـىـ ذـلـكـ، مـعـ تـوـافـرـ إـمـكـانـيـةـ ذـلـكـ، يـصـنـفـ سـيـاسـيـاـ مـلـءـ الدـنـيـاـ بـأـسـرـهـاـ.

حتـىـ الآـنـ، لـاـ تـوـجـدـ وـسـيـلـةـ لـتـنـفـيـذـ هـذـاـ الـذـىـ خـطـرـ عـلـىـ بـالـكـ سـوـىـ مـاـ يـسـمـيـ الـدـيـقـراـطـيـةـ، وـأـبـسـطـ صـورـهـاـ هـوـ أـنـ يـكـوـنـ لـكـ صـوتـ اـنـتـخـابـيـ (بـالـهـوـيـةـ لـاـ دـاعـيـ لـلـبـطـاقـةـ)، فـأـنـتـ سـيـاسـيـ بـجـرـدـ أـنـكـ موـاطـنـ، مـنـ حـقـكـ أـنـ تـضـعـهـ فـيـ صـنـدـوقـ، وـرـاءـ سـتـارـةـ، وـأـنـتـ لـسـتـ خـائـفـاـ وـلـاـ شـاكـاـ، وـأـنـتـ تـعـقـدـ أـنـ صـوتـكـ هـذـاـ سـوـفـ يـجـعـقـ مـاـ خـطـرـ بـبـالـكـ قـبـيلـ النـوـمـ، لـأـنـكـ اـخـرـتـ الشـخـصـ الـأـقـدرـ عـلـىـ تـحـقـيقـهـ، تـفـعـلـ ذـلـكـ وـأـنـتـ تـشـعـرـ - وـلـوـ مـنـ بـابـ الـبـلـهـ - أـنـ هـذـهـ الـوـرـقـةـ الـتـيـ وـضـعـتـ فـيـ هـذـاـ الصـنـدـوقـ لـهـاـ قـيـمـةـ، إـذـاـ انـضـمـتـ إـلـىـ أـورـاقـ أـخـرـىـ مـثـلـهـاـ، عـلـمـتـ عـلـىـ نـفـسـ الـعـلـمـةـ الـتـيـ عـلـمـتـ أـنـتـ عـلـيـهـاـ، حـقـقـتـ مـاـ خـطـرـ بـبـالـكـ قـبـيلـ النـوـمـ.

هذه اللمسة الأخيرة (الورقة والصندوق والأمان)، تحتاج إلى إعداد سياسي جيد، تحتاج لما يسمح لك أن تلم بقدر من المعلومات يلزمك لاختيار من يسيّر أمورك، وتحتاج إلى فرص لتبادل اختبار هذه المعلومات مع آخرين مختلفون معك، وربما تغير رأيك قبل خطوة "الصندوق"، تحتاج إلى مساحة من الحرفة والحرية تسمح بتبادل هذه المعلومات وتلقي الآراء، تحتاج إلى وعي مسئول حتى لا تكون المسألة انفعالية لأنك تحب هذا وتكره ذاك، وإنما هي عملية نوعية لصالحك شخصياً، وصالح ناسك (لا ينفع أن تكون لصالحك وصالح قريتك وصالح قبيلتك دون سائر ناسك، هذه ليست سياسة)، وبذلك تطمئن أنك محترم، تعيش في بلد محترم، وهذا معناه أن هذه العمليات السالفة الذكر (حتى وصول ورقتك إلى الصندوق) قد جرت في جو من العدل وبعدد من الفرص سمح لك أن تسمع وأن تقول، أن تختبر وأن تراجع، وبما أن كل ذلك غير متاح أصلاً في هذا البلد الأمين، فكيف نتحدث عن بدائل، أو تداول للسلطة، أو عن ضعف المعارضة، أو عن سياسة أصل؟

في البلاد التي تمارس السياسة عن طريق ما يسمى الديقراطية، إذا جالست مواطناً له حق الانتخاب، كما أفعل في أحيان ليست قليلة مع أبناء وبنات لـ، سافروا أو هاجروا، وبحنسوا، واستقرروا، وتعايشوا، وتجاوزوا، وشاركوا، حتى أصبح لهم ما يسمى صوت انتخابي، في مثل هذه البلاد أحضر أحياناً مناقشات بين أب وبناته حول مائدة عشاء مثلاً، وهم يتناقشون من ينتخبون في البرلمان الأوروبي، وليس فقط في فرنسا (مثلاً)، أى والله، وكل فريق يحاول أن يقنع الآخر بن يفضله ليتولى شؤونهم في السنين القادمة، ويشتند الحماس، لا الشجار، وكل يأمل أن يغير بلده بصوته هذا، وبصوت من يقتنعوا بوجهة نظره، ومن ثم يغير العالم معه.

بصراحة أفرح أن أحد أبنائي أو إحدى بناتي تساهم في اختيار مثل في البرلمان الأوروبي، فالوطني، بكل هذا اليقين أن صوتها قادر أن يسمى البدائل أو تداول السلطة، وأمثلني غيطاً وأنا ليس لي في الأمر شيء في بلدي.

ما زلت أكره الديقراطية وأحفظ عليها، فهي من أسوأ ما جرى عبر العالم بعد أن تولى أمر الحرية غير أهلها، لكنها - كما علمني شيخي حفظ - أحسن الأسوأ، وليس أمامي إلا أن أكون ديمقراطياً رغم أنفني، حتى يبدع الإنسان آلية أقدر، تنقذه من الديقراطية وعكوساتها الأسوأ.

يقول مثل مصرى رائع "قال يلعن أبوك اللي مات ماجوع، قال هو اللي أكل ولا كلشى"

هل يمكن تطبيقه قياساً؟ "جتكوا خيبة مابتمارسوش السياسة، قالوا هوا احنا لقينا سياسة وما مرنسناهاش؟"